اللغة العربيَّة ومشاكل تعليمها

مع اقتراح الحلول لمضاعفة المردود العلميِّ

الدكتور / محمد مسعود جبران
رئيس مجمع اللغة العربية بليبيا

يعالج هذا البحث موضوع "اللغة العربية ومشاكل تعليمها مع اقتراح الحلول لمضاعفة المردود التعليمي " . وعلى الرغم من أن الموضوع واسع ومهم وشائك بل ومصيري ، فإنّه يتسع- دون ريب- لمشاركات جميع رجال التعليم ، ومساهمات خبراء التربية والمهتمين باللغة العربية الفصيحة وتعليمها من الأصلاء والمستعربين، كما سيظل هذا الموضوع الحيوي يتسع باستمرار لقبول رؤى الذين يعنيهم شأن الأمة العربية والإسلامية ، والنهوض بلسانها العربي المبين المعجز الذي أفاد تراث الإنسانية الخالد ، وأثراه بفرائد الفوائد في شتى العلوم والفنون والآداب .

وإنني أكتب في هذا الموضوع ، من خلال خبرة عملية في تدريس اللغة العربية وآدابها في التعليم المدرسي والتعليم الجامعي والعالي مدة أربعين سنة ، ولذلك فلا ضير على مثلي أن يدلي بدلوه في هذا المورد العذب وأن يسهم في معالجة موضوعه ببعض النظريات والانطباعات المتواضعة ، والمتولدة عن تلك التجربة العلمية غير القصيرة، ويرفد بارتساماتها المستأنسة بخبرة رجال العلم والتعليم والتربية المحترمين، وبنتائج أعمالهم البحثية القيمة التي أحلنا على بعضها في هوامش البحث.

ومن الحقيق بالذكر والتنويه أن أنبه في هذا المقام إلى أن مشكلات تعليم اللغة العربية في المدارس والجامعات ، لا يمكن أن تدرس - في تقديري - بمعزل عن البيئة الاجتماعية العامة التي نلحظ تأثيرها الإيجابي أو السلبي في تعليم اللغة العربية والرقيّ بها في المدارس والجامعات ، ضرورة ما نراه ونلمسه - واقعياً - من الارتباط العضويّ الوثيق بين هذا الإطار العام ، والإطار التعليميّ التربويّ للغة العربية الذي يرمز له في هذا البحث بـ"الإطار الخاص" ، ولذلك فلا مَعَدَّى للباحث من دراسة هذين الإطارين من خلال منظور متوحد متماسك .

وضبطاً للبحث فسأقصر حديثي ومسائله في النقاط الآتية :

توطئة ممهدة تجلو أهمية اللغة العربية ومكانتها .

مظاهر مشاكل اللغة العربية في الإطار البيئيّ العام ، ثم بيان مظاهر هذه المشكلات في الإطار التعليميّ التربويّ الخاصّ للغة العربية .

اقتراح علاج هذه المشكلات ومظاهرها في الإطارين لمضاعفة المردود التعليميّ في التعليم المدرسيّ والتعليم الجامعيّ .

أهمية اللغة العربية :

لا خلاف بين العلماء الأجلاء المنصفين من عرب ومسلمين أصلاء ، ومستشرقين فضلاء في أن اللغة العربية لغة معدودة في مقدمة اللغات البشرية

والإنسانية الحية من حيث الأهمية والسعة والثراء ، والقدرة المائزة على التفكير والتعبير ، وأيضاً في إمكاناتها الهائلة في المرونة والقابلية للنماء والتطور ومواكبة التقدم الحضاري ومعطياته سواء في المسائل المعنوية التجريدية أم في المستحدثات المادية الحسية (1) ، فلقد عبرت هذه اللغة قديماً عن حاجات الإنسان العربي في صحرائه وباديته المترامية قبل بزوغ فجر الإسلام ، كما اتسع صدرها الرحيب لكتاب الله تعالى المعجز بنظمه وآياته وأحكامه ، واستوعبت بمنظومها ومنثورها معطيات الحضارة الإسلامية منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا ، مروراً بازدهار الحضارة في دولة بني أمية في القرن الثاني الهجريّ ، ودولة بني العباس إلى القرن السابع الهجري وحضارة الغرب الإسلاميّ خلال تلك القرون إلى العصر الحديث وما شاهدته هذه اللغة النابغة من نتاج عقليّ في الدول الإسلامية المتتابعة في المشرق والمغرب والجنوب على حد سواء .

وما من ريب في أن اللغة العربية - وهي اللغة الحضارية الزاخرة بنتائج الفكر الدينيّ والسياسيّ والعلميّ والاجتماعيّ والحضاريّ عبر العصور - قد تبوأت مكانة بارزة بين اللغات المهمة بفضل مؤهلاتها الخصيبة في معاجمها التي زخرت بآلاف الألفاظ والكلمات والمواد والتي تعبر بجلاء عن أدق الخوالج والأشياء والحاجات الإنسانية ، وفي جماليات بيانها التي تحفل بها تعابيرها وتراكيبها كما جاءت في آثار أصحاب الأساليب،وفي قواعدها المنطقية الدقيقة التي ألفت في ضوابط علوم النحو والصرف والبلاغة والنقد والعروض،وفي فقه اللغة مئات بل آلاف التآليف والتصانيف. وما من ريب أيضاً في أن هذا التراكم اللغويّ والمعرفيّ الزاخر الذي عرفت به اللغة العربية في تراثها المتنوع العميق عبر العصور ، وكان- كما أسلفنا- معقد فخرها واعتزازها ، وقد صار في الحاضر- لأسباب مختلفة في طليعتها الوضع الحضاريّ المنهار للأمة العربية والإسلامية- مصدر قلق وضيق وشكوى وبخاصة لدى أبنائها الذين هم اليوم من غير ذوي السليقة اللغوية المواتية ، ولدى متعلميها من ذوي الألسن الأعجمية الذين أحبوا العربية ، وانبهروا بها (1) .

ولقد تكاثرت الشكوى المرة ، وتكررت من جراء الضعف العامّ في تحصيل اللغة العربية في مستويات القراءة والكتابة والمحادثة والسماع منذ أوائل القرن العشرين إلى يومنا هذا(2)، فصرنا نلحظ هذا المستوى المتدنيّ- بكل أسف- ليس في طلاب التعليم المدرسي العام الابتدائيّ والإعداديّ والثانويّ فحسب ، بل في التعليم الجامعيّ ، وفي بعض طلابّ الدراسات العليا ، فيما نطالعه عند بحث رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه ومناقشتها ، وهو ما يشتد معه الأسف ، وتعظم به الحسرة . ومن المهم اللفت في هذا السياق إلى أن مشاكل اللغة العربية لا تكمن فيما أشار إليه الباحثون الغيورون ، وحصروا معظمه في العجز الشائن لدى الطلاب والدارسين في مختلف المستويات التعليمية فيما يلحظ في المكتوب والمقروء في الخطاب أو النص العربي فحسب ، بل تتسع لتشمل عجز مقررات كتب اللغة العربية ومناهجها في مختلف المستويات التعليمية عن مواكبة تغذية هذه المناهج والمقررات بوضع المصطلحات الجديدة والبدائل اللغوية والألفاظ المعاصرة الدالة على مسميات المستحدثات الحضارية التي تمس حاجة المتعلم والإنسان العربي والمسلم والمعاصر

إلى استعمالها واستخدامها اليومي دون أن يعرف لها في العربية مسمى فيضطره ذلك العجز اللغوي إلى استعمال الألفاظ الأجنبية واستخدامها بصورتها العجمية(1).

إنَّ جُلنا يقف اليوم عاجزاً مبهوراً بل مقهوراً حينما يروم وصف ماعون داره وأثاثها الحضاري ، كما يُرَى مبهوتاً عندما يريد أن يدل بألفاظ العربية عن أجزاء مركوبه أو مصنعه ، أو مستعملات مكتبه ومؤسسته ، فهذا جانب من الضعف اللغويّ ينبغي أن ينبه إليه ويهتم به في المناهج والمقررات التي تتجاهل- غالباً - هذا الضعف اللغويّ الشائن .

إن هذا الوضع من الضعف اللغويّ في تعليم اللغة العربية يدعونا بالإلحاح إلى المزيد من بذل الجهود- على المستوى الرسميّ والمستوى الأهليّ المدنيّ- للانتصار لهذه اللغة التي هي بلا شك مصدر هويتنا ، مثل ما انتصر أهل اللغات الحية للغاتهم حينما عملوا على الانحياز إليها ، والاعتزاز بها ، وتمسكوا بسلامتها وإثرائها ، بل بشروا بها خارج حدود أقطارها وأطرها المكانية على نحو ما فعل زعماء فرنسا وإيطاليا وألمانيا وغيرهم من أهل اللغات العالمية التي ترتد حسيرة أمام لغتنا العربية ذات الأصالة والعمق والحيوية .

فقد قرأنا أن " نابليون بونابرت " خاطب بعثته وجنوده الذين غزا بهم مصر " عَلّموا الفرنسية ففي ذلك خدمة حقيقية للوطن "، وأن الأديب " دانتي اليجيري " صاحب الكوميديا الآلهية كان يدعو في مجالسه الخاصة والعامة وبحماسة إلى لغته القومية " اللغة الإيطالية " ، بالرغم مما عرف عنه من الدعوة إلى " الأدب العالمي " أو الأدب الشامل ، فهو يعتبر من منطلق هذا التعصب أن كل من يتخلى عن " لغته الإيطالية " الأم غبيّ ملحد لا يستحق الاحترام والتقدير (1) .

كما كان المفكر الألمانيّ " أرنت " يحدد الوطن الألمانيّ بحدود اللغة الألمانية ، وليس بالحدود الجغرافية المادية المحدودة في أوروبا . إن الوطن الألمانيّ عنده ، حسب تعبيره " كل البلاد التي يرتفع فيها إلى السماء الحمد لله باللّغة الألمانية "(2) ، ولذلك كان يدأب على الدعوة الدائمة إلى نشر هذه اللغة ليتسع نطاق وطنها (3) .

أفلا يليق بنا ويحسن- نحن العرب والمسلمين- أن ننتصر وننحاز كغيرنا من الأمم المتحضرة في عصر العولمة الذي تتنافس فيه اللغات والثقافة العالمية- إلى اللغة العربية ، وتراثها العظيم ، ونسعى إلى الحفاظ عليها ، والإبقاء على سلامة تراثها ، والعمل على ترقيتها ونشرها سليمة غنية متطورة وصافية بين بنيها ، وأيضاً في أصقاع المعمورة ؟ ولقد أصاب الدكتور حسين نصار كبد الصواب حيث قال:"وفي عبارة واحدة ، كل من لا يقدس -وأقول يقدس - لغته وثقافته ، إما جاهل بذاته ، وما تفرضه عليه ، أو جاهل بما تملك من كنوز رائعة ، يواريها أو يحط من قدرها حاضرنا المهيض،لا حقيقتها الرائعة "(4).

والحق أن تلك الغاية المرجوة في تقديس اللغة العربية ، لا يمكن أن تتحقق إلا بمعرفة أصول اللغة وإدراك خصائصها ، ومعرفة تراثها الزاخر ، وعبقريتها المتميزة، وهو ما عبر عنه الدكتور حسين نصار بقوله:" كنوزها وحقيقتها الرائعة "

.

إن تقديس العربية ونشرها في الوقت الحاضر يتطلب الوقوف بعد ذلك على مشاكل تعليمها ، وبذل الجهود الكبيرة لإيجاد الحلول العلمية ، والذي أراه - قبل أن أعرض بعض المقترحات لعلاج الضعف العام الملحوظ في الكتابة والخطابة والمحاضرة والتدريس وفي تبليغها إلى متلقيها ، وتلقينها لهم في مستويات المراحل التعليمية المختلفة ، ولكي نتوصل إلى تحقيق هذا الغرض المطلوب - أن نعالج الموضوع من خلال هذين المحورين :

أولاً : المحور أو الإطار العامّ ، ونعني به البيئة الاجتماعية العامة التي يتأثر بها الوضع اللغوي، ودارسو اللغة العربية سواء الأصلاء أو الطّارئون عليها .

ثانياً : المحور أو الإطار الخاص ، الذي نقصد به في سياق هذا البحث المجال التعليميّ على المستوى المدرسيّ أو المستوى الجامعيّ والعالي .

مظاهر مشاكل اللغة العربية

أولاً : في المحور العام :

من المشكلات التي تواجه اللغة العربية وتعليمها وإشاعتها ورقيها ونشرها في هذا المحور أو الإطار العام :

1- الانحدار الحضاريّ الرهيب الذي مُنِيَتْ به حياة الأمة العربية والإسلامية في العصر الحاضر ، والذي انعكس سلباً على حياة اللغة العربية نفسها ، وعُدَّ من أسُس مشاكلها الكبرى وتخلفها ، إذ لا خلاف في أن اللغة أي لغة وفي طليعتها اللغة العربية- كائن حيّ ينمو بنموّ الأمة ويزدهر بازدهار حضارتها وتقدمها ، كما أنه يضمر بضمور الأمة ، ويهزل بهزالها (1)، وقد كانت العربية قديماً،بل في عصور ازدهار أمتها العربية والإسلامية في القرون الوسطى، تشهد رقياً ونموّاً ونماءً وجاذبية وتطوراً وانتشاراً بفعل ما كانت تمثله هذه اللغة وتجلوه من حضارة زاهية وتقدم زاهر، فقد اجتذبت في تلك القرون أنظار العلماء والأدباء والمثقفين ، وانتشرت على ألسنتهم ليس من أبنائها العرب الأنبياء فحسب، بل اجتذبت أنظار مثقفي الأمم والشعوب الأخرى الذين كانوا يؤكدون آنذاك وجودهم العلميّ والمعرفيّ والحضاريّ بتعلمها ، والتبريز فيها ، وإتقان التعبير والتفكير في أنساقها المنظومة والمنثورة . لقد كان كتاب الفرس وأدباؤهم من أمثال سيبويه صاحب الكتاب وبشار بن برد وعبد الله بن المقفع (2)، والعلماء والأدباء من الأصول الرومية من أمثال ابن جني وابن الرومي وياقوت الحموي ، وغيرهم (3) من أعلام الأجناس الأخرى ، يباهون بالانتساب إلى هذه اللغة العربية الحضارية ، ويباهون بإبداعاتهم الأدبية فيها ، ولذلك اشتهروا وعرفوا بأعمالهم في أنساق إبداعاتها أكثر مما عرفوا في آدابهم الفارسية والرومية الأصلية .

وقد حدثنا التاريخ كثيراً عن الأهمية البالغة التي حازتها هذه اللغة في عصور تقدم الأمة العربية عهد ذاك ، وكيف كان أهل العلم والفكر يردون مناهلها ، ويعبون من منابعها، تأكيداً لوجودهم العلميّ والمعرفيّ وهو ما أثار حفائظ أهلهم وذويهم على نحو ما أخبرنا به تاريخ الأندلس الإسلامية من شكوى القسيس" الفارو " على عهد

عبد الرحمن الأوسط في الأندلس الذي ضاق ذرعاً بالشباب النصراني الأسباني الذين هجروا لغتهم ، وصاروا لا يعرفون إلا لغة العرب وآدابها (1).

لقد بسطنا القول في ظاهرة تخلف الأمة العربية والإسلامية في العصر الحديث ، التي انعكست سلباً على اللغة العربية باعتبارها الأساس الأول في مشاكل اللغة العربية وتعلمها وتعليمها وانتشارها ، إنّ جميع المشكلات الأخرى مما تعانيه هذه اللغة وسنتحدث عنه- فروع ناجمة عن هذه الظاهرة التاريخية الأساس ، ومع ذلك فإنّنا نعلق الأمل والرجاء على الله تعالى في أن تعود أمتنا المجيدة مستقبلاً إلى سابق عزها وحضارتها ليعود إلى لغتها القادرة مجدها المؤثّل ، وعطاؤها المؤثر .

2- وقد نتج عن تلك الظاهرة التي تخلفت بها الأمة العربية والإسلامية وحضارتها ، ما مُنِيَ به العالم العربيّ والإسلاميّ من أشكال التقهقر في مجالات العلوم الحديثة ، وفي مجال إنتاج المستحدثات التقنية والمادية العصرية التي هي من ولائد التقدم الحضاريّ الحديث ، ليس في الغرب وحده ، بل فيما نلحظه في دول النمور الآسيوية أيضاً مثل الصين واليابان وكوريا وماليزيا وأندونيسيا التي قطعت هي أيضاً خطوات فساحاً في عوالم الصناعة والزراعة والتقنية الحديثة التي أوجدت لها تعاريف ومسميات ، وعجزت العربية عجزاً ظاهراً عن ملاحقتها في وضع المقابل لها من أسماء ومصطلحات وبدائل عربية بالرغم من بعض الجهود المحمودة التي نهضت بها المجامع والجامعات .

3- كذلك نتج عن تينك الظاهرتين السابقتين : ظاهرة التخلف الحضاريّ ، وظاهرة التقدم التقنيّ الأوروبيّ والآسيويّ ، النظرة السلبية التي ترسخت لدى الأجيال الجديدة من الشباب والمثقفين في العالمين العربيّ والإسلاميّ ، والمتمثلة في الاعتقاد السالب ، بأن اللغة العربية صارت في تقديرهم مجرد لغة قديمة عتيقة ، ومحدودة ، بل رجعية متخلفة ، ليس في مكنتها ومقدورها التعايش مع معطيات هذا العصر الذي يعج بالعلم والتقنية والمعلومات الهائلة والحاسوب والمستحدثات الحضارية ، فحملهم هذا الوهم على الزهد فيها ، والازورار عنها ، وصرفهم إلى بذل الوسع في تعلم غيرها من اللغات الحية ، التي رأو فيها - نتيجة الغزو الحضاري- أداة صالحة للتواصل تربطهم بركب الحضارة وتحقق لهم فرص العمل والسعادة .

4- ومن المشكلات التي تواجه اللغة العربية وتعليمها وانتشارها في الوقت الحاضر، التفكيك المفتعل والمتكلف الذي يجنح إليه هذا الجيل بين اللغة العربية والدين ، بحيث صرنا نرى الكثير منه ، لا ينظر إلى اللغة العربية- كما ينظر إليها الجيل الماضي- على أنها لغة دين ، ووعاء عقيدة ، وأن اللغة والدين كل متماسك ، يجب الحفاظ عليه ، والتمسك به ، إذ لا يصح تعبد صحيح- كما كان يعتقد القدامى من الأسلاف- إلا باللغة العربية ، ولا لغة عربية كاملة وناضجة إلا بالدين القيم ، ضرورة أن القرآن الكريم والسنة المطهرة ، والمأثور عن الخلفاء وصلحاء الأمة ، كل ذلك لا يفهم إلا باللغة الفصيحة الصحيحة ، يستشف ذلك من وصاية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في رسالة إلى أبي موسى الأشعري حيث قال : " مر من قبلك بتعليم العربية ، فإنها تدل على صواب الكلام " أو نحو ما رُوِيَ عن أبي ذر

الغفاريّ في قوله :"تعلموا العربية في القرآن كما تتعلمون حفظه"، كذلك لم يفكك العلماء الكبار الذين جاءوا بعد عصر الصحابة إلى العصر الحديث بين الدين واللغة ، ونظروا إليهما على أنهما كل متكامل .

ومن الأسف أنّ هذا الإحساس الذي يضفي على اللّغة العربيّة قيمتها وأهميّتها ، ويدعو إلى الرّغبة في تعلّمها وتقديسها ، قد ضعف عند الجيل الحاضر ، وصيّر هذا الضعف مشكلة من مشكلات اللّغة وتعليمها .

5- ومن المشاكل الداخلية القائمة التي تجابه اللغة العربية وتعليمها ونشرها - في العصر الحديث - بروز ما اصطلح عليه ب " ظاهرة الازدواج اللغويّ " الماثلة بصورة مجلوة في الاستعمال اللغويّ في جل البلاد العربية ، فنحن نستعمل اللغة العربية استعمالاً رسمياً ، كما نستعمل النسق اللهجيّ في حياتنا اليومية ومعاملاتنا ، بل سعى بعض أبناء الأمة إلى إشاعته في التأليف والتصنيف والإعلام .

وليس ثمة شك في أن هذا الازدواج اللغويّ الفصيح والعاميّ ، يساعد على خلق الانقسام والانفصام ، كما يقف النسق اللهجي عائقاً لانتشار اللغة وتعليمها ونشرها .

ومن الغريب أن الدعوة إلى إشاعة النسق اللهجي- وهو ما يخالف توجهات هذه الأمة- صار يحظى من جهات وطنية وجهات أخرى مشبوهة بالكثير من التشجيع ، وبخاصة في وسائل الإعلام المختلفة التي صارت تروج لتياره ، بحيث يمكننا القول إنه إذا كانت الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية التي ظهرت في أوائل القرن العشرين بدعة ممقوتة قد تلاشت ولم يكتب لها البقاء ، فإن ظاهرة الدعوة إلى العامية وتعميمها لا تزال اليوم قائمة وتحظى بالتشجيع والترويج ، وهذا كما لا يخفى من أبرز ظواهر معوقات تعليم اللغة العربية ، ويحتاج منا إلى الكثير من بذل الجهد للقضاء عليه .

6- ومن المشكلات التي تواجه اللغة العربية وتعليمها - في الإطار العام - ما يلحظ من تقصير المنظمات والهيئات العربية والإسلامية ذات الصبغة العلمية ، مثل مجامع اللغة العربية، ومنظمة الألسكو(1) ومنظمة الاسسكو(2) ومكتب تنسيق التعريب وغيرها من المؤسسات العلمية والثقافية ، في جعل قضية اللغة العربية من أهم قضاياها ، وتخصيص الجزء الأكبر من اهتماماتها وميزانياتها لدراسة ظاهرة الضعف العام في تعليم هذه اللغة ، والعمل على وضع الحلول الناجعة لمعالجتها والمساهمة في اقتراح الحلول لمناهجها ومقرراتها لدى العرب الأصلاء ، ولدى غير الناطقين بها . ومع التسليم بما بذلته هذه المؤسسات من الجهود السابقة الملحوظة ، فإن جهودها لا تزال في رأي المراقبين دون ما ينتظر منها وما يؤمل .

7- كذلك نرى أن من مشكلات اللغة العربية ما تشكوه من تقصير الكثير من الدول العربية ذات الإمكانات المادية الكبيرة والثروات في نشر اللغة العربية ، وتوزيع كتب تعليمها في أوساط الدول الإفريقية والآسيوية ، بل الدول الأوروبية والغربية الراغب أهلها في تعلمها ، وقد رأينا دولاً عربية تعمل في هذا الميدان ، وبخاصة في إفريقيا ، ولكن ينقصها في عملها المحمود هذا المنهاج المدروس ، والبرامج العلمية المحددة علمياً والمفضية إلى إنجاح مشروع نشر اللغة العربية ،

وتعليمها للناطقين بها ولغير الناطقين بها في البلدان الإفريقية المستهدفة بهذا المشروع .

ولو انطلقت جهود هذه الدول العربية ذات الإمكانات المادية الهائلة من منطلق علميّ وعمليّ منظم ومدروس وموحد بتوجيهات الخبراء ، ومتسم بالتواصل والتنسيق فيما بينها، لعاد ذلك - بلا ريب - بالعوائد الوفيرة ، والفوائد الكثيرة على اللغة العربية ، وعلى طلابها ودارسيها والمتعلقين بتراثها العظيم .

تلك هي بعض المشكلات في الإطار العام الذي يساعد مساعدة كبيرة - بلا ريب- في علاج المشكلات في الإطار التعليميّ الخاص في مستوى التعليم المدرسيّ والجامعيّ .

ثانياً : المحور الخاص

فإذا انتقلنا من تحديد بعض مشكلات تعليم اللغة العربية في الإطار العام إلى محاولة تحديد بعض مشكلاتها القائمة في الإطار الخاص الذي نعني به - كما أسلفنا - المجال التعليميّ والتربويّ المدرسيّ والجامعيّ ،فإننا نرى حصر أبرز هذه المشاكل في النقاط الآتية:

1- الاختلال الملحوظ في بعض مناهج اللغة العربية وآدابها ومقرراتها في التّعليم بمستوييه ، بحيث يلحظ الناظر فيها أنها وضعت- في بعض الأحيان- بطريقة غير دقيقة ومتسرعة .

2- أن طرق تدريس اللّغة تتم غالباً بالوسائل التقليدية المختلفة وغير المشوقة ، التي لا تجاري أساليب طرق تدريس اللغات العالمية الحية ، وما من ريب في أن الوسيلة الجيدة تفضي إلى النتيجة الجيدة والمرجوة من تعليم اللغة ونشرها .

3- التكوين القاصر لمعلمي اللغة العربية ومدرسيها ، فقد صارت اللغة العربية اليوم لا تشكو من تحصيل طلابها وتلاميذها فحسب ، بل أيضاً من القائمين على تدريسها ، وقد عرض أستاذنا عبد اللطيف أحمد الشويرف بتفصيل لهذه المشكلة في بحثه الممتاز المعنون بـ" الضعف العام في اللغة العربية " (1) . يُضاف إلى ذلك زهد الكثير من المعلمين والمدرسين أنفسهم في القراءة وحب الاطلاع ، وعزوفهم الظاهر والغريب عن الرجوع إلى كتب اللغة والتراث ومظانه ، وإلى تآليف المبدعين من الكتاب والأدباء المحدثين ، والمثقفين المعاصرين .

تقول الدكتورة وداد نوفل :" إننا نجد كثيراً من المدرسين غير قادرين على فهم المادة العلمية المنوطين بتعليمها ، أو أنهم تنقصهم القدرة على التوصيل للطلاب ، وإذا كان هذا هو حال هذه الفئة من المدرسين فكيف يكون حال طلابهم " (2) .

4- ومن المشاكل القائمة التي تعاني اللغة العربية من سلبياتها في الإطار الخاص " البيئة المدرسية المتخلفة والتي صارت -كما سنوضح - فيما بعد- لا تعين على نماء اللغة العربية وتفعيلها وإشاعتها ، كما أنّها لا تساعد على الرقيّ بالمهارات المتنوعة في مواد اللغة العربية وأجناسها الأدبية المختلفة لشيوع العامية والنسق اللهجيّ في هذه البيئة المدرسية .

علاج مشكلات اللغة العربية
واقتراح الحلول لمضاعفة المردود التعليميّ :

بعد تشخيص الأدواء التي دُهِيَتْ بها اللغة العربية ومُنِيَ بها تعليمها في العصر الحديث على المستويين العام والخاص ،وهو ما جعل متعلميها يوصفون بالضّعف العام في تحصيلها، نشرع في اقتراح بعض الحلول العلمية التي نرى فاعليتها في المستويين أو المحورين التعليميين المذكورين .

أولا : في المحور أو الإطار العام :

لا مشاحة في أن منطلق علاج هذه المشكلات في إطار الحياة العامة ، يبدأ من ضرورة الإحساس الصادق والفعال من رجال هذه الأمة ومثقفيها (حكامها ومحكوميها) ، أو بعبارة أدق من جميع عناصر الأمة في الدوائر الرسمية الحكومية ، وفي القاعدة الشعبية العريضة ، بأن اللغة العربية تمثل مصدر هوية هذه الأمة ، وعنوان ذاتها وكينونتها المتميزة ، وأن الحفاظ عليها ، ودعمها والنهوض بها ، ثم نشرها بين بنيها وأهلها والراغبين في تعلمها وتحصيلها من أبناء الأمم الأخرى ، قضية مصيرية ، وواجب يجب القيام به وينبغي أن توظف له جميع الطاقات والجهود والإمكانات مثلما تفعل الأمم المتقدمة بلغاتها الحية ، مع اليقين الذي يجب أن يصاحب الحكام والمحكومين من أبناء العربية والإسلام بأن ما ينفق في هذا الشأن المصيريّ المهم من أموال وميزانيات وجهود ، يجب أن يستصغر ويستقل وإن كثر ، لأنه مصروف في تأكيد الهوية المائزة ، وترسيخ الكيان المتفرد في الحاضر والمستقبل .

يقول أحد الباحثين: " إنّ إحدى المؤشرات المهمة على تحضر شعب من الشعوب ، هي علاقته بلغته كيف ينظر إليها ، وكيف يتعامل معها ، ثم كم هي قدرات لغته على التعامل مع نمط الحياة السائد ". وقد رأينا في مفتتح البحث كيف اعتبر "نابليون بونابرت " أنَّ تعليم اللغة الفرنسية للشعوب المفتوحة " خدمة حقيقية للوطن" ، وكيف دعا غيره من المفكرين والمثقفين في اللغة الإيطالية والألمانية من أمثال " دانتي اليجيري " و " أرنت " إلى وجوب الانتصار للغاتهم بتعليمها ونشرها ، وكيف عدوا ذلك مظهراً للوطنية الصحيحة .

ويندرج في مجال هذا الاهتمام باللغة العربية والدعم الماديّ والمعنويّ لها من الحكومات الرسمية والهيئات الشعبية في الديار العربية والإسلامية ، أن تصير اللغة في النظم والقوانين لغة رسمية حية تواكب الركب الحضاريّ الإنسانيّ في القرن الحادي والعشرين ، وذلك بالتنويه الموضوعيّ المستمر بقيمتها العقدية والاجتماعية والتراثية،والتوكيد على خصائصها الحيوية الكثيرة التي أهلتها في القديم وتؤهلها في الزمن الحاضر لأن تكون لغة مهمة بين لغات العالم الحية المعبرة ، والتعريف بذلك كله لدى عارفيها وجاهليها ، وبخاصة الذين تثقفوا بثقافة غربية ، وتعرضوا للانبهار بها وبلغاتها ، بل وقعوا فريسة للاستلاب الفكريّ والحضاريّ الذي أفضى بهم فيما بعد إلى الغض من قيمة اللغة العربية ، فصاروا يحتقرونها ويهرفون بما لا يعرفون عنها وينتقصون من عبقريتها وخصائصها .

لا يمكن أن ننسى ونحن في مقام الحديث عما ينتظر من حكومات الدول العربية والإسلامية ومنظّماتها الإقليمية والميسورين والميسرين من الأفراد والعلماء من جهود وعون في دعم اللغة العربية ونشرها بين الشعوب الإسلامية في إفريقيا وآسيا وأوروبا وغيرها من شعوب القارات الأخرى ، وقد قدر لي أن أدرس هذه اللغة المقدسة في بعض الدول الإفريقية مثل النيجر والسنغال ومالي وبوركينا فاسو ونيجيريا ، حيث اطلعت من كثب على حالة الرغبة العارمة التي تملأ نفوس طلاب العلم الأفارقة في تلك الدول في تعلم اللغة العربية ، وحرصهم على تلقي فرائدها وفوائدها ، وتعلقهم الكبير بالحروف العربيّة والمطبوع منها ، والسعي الدائم إلى الحصول على المطبوعات العربية ، ولا أزال أذكر جماعات الطلاب الأفارقة الذين قطعوا عشرات الأميال إلى الوصول إلينا في داكار عاصمة السنغال في حالة إجهاد من أجل الانتظام في دورة اللغة العربية التي أقامتها منظمة الإسسكو "المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "في تلك العاصمة سنة (1410 / 1989)، وحرصهم على الحصول على بعض الكتب في اللغة العربية ، وهذا مثال من أمثلة كثيرة شاهدناها أيضاً في النيجر ونيجيريا وبوركينا فاسو ومالي ، وهو دال على الرغبة العارمة من طلاب تلك البلدان الإفريقية في تعلم اللغة العربية، وهو ما يضع على عواتق حكومات البلدان العربية والإسلامية مسؤولية طباعة كتب مناهج اللغة العربية ومقرراتها ونشرها بين طالبيها . كذلك يجب أن تعمل الدول العربية القادرة على الإسهام المستمر من خلال منظماتها وهيئاتها المعتبرة على وضع الأسس والأساليب السليمة المدروسة التي تعين اللغة العربية على الانطلاق والانتشار والتأثير البليغ ، ويمكن حصر هذه الأسس والأساليب والدعائم فيما يلي :

1- تكوين مجلس قومي للغة العربية مختص بعلومها وتعليمها يتبع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "الأليسكو" في جامعة الدول العربية على مستوى مركز "التعريب" تشارك من خلاله جماعة خبراء هذه اللغة في الهيئات التعليمية الإقليمية الموجودة في البلاد العربية والتابعة للجان الوطنية في وضع الخطط القومية الموحدة والعصرية بحيث تتفق من خلالها نظرة الهيئات والوزارات العربية المختصة في وضع مناهج اللغة العربية وبرامجها وموادها ومقرراتها وكتبها ، وطرائق تعليمها ونشرها ، سعياً لمضاعفة المردود التّعليميّ في المدارس والمعاهد والكليات ولتكوين القواسم الفكرية واللغوية المشتركة في علوم اللغة والأدب بين أجيال التلاميذ والطلاب في مختلف المستويات في البلاد العربية .

2- ضرورة التنسيق بين مجامع اللغة العربية القائمة الآن في البلاد العربية أو اتحاد مجامع اللغة العربية ، وبين أقسام اللغة العربية في كليات الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعات العربية والإسلامية من جهة ، والكليات العلمية المختلفة من جهة أخرى ، وبخاصة فيما أنجزته هذه المجامع من أعمال في حقل التعريب ومجال وضع المصطلحات العلمية ، والمسميات الحضارية .

ومن المؤسف جداً أن نقول : إن سداً صفيقاً منيعاً لا يزال يعزل المجامع والجامعات وأقسام اللغة العربية في الكليات ، ويحول بشكل حاد دون الاستفادة من إنجازات هذه المؤسسات المحترمة ومن مثيلاتها الأخرى .

3- ومن المفيد جداً ،بل من الواجب ، أن تعنى الحكومات العربية والإسلامية بتوجيه وسائل الإعلام المختلفة في المحطات المرئية والإذاعات المسموعة إلى الالتزام في خطابها باللغة العربية السهلة القريبة في نشراتها وبرامجها ومقابلاتها ، كما ينبغي أن توجه توجيهاً ملزماً إلى أن تشيع وتذيع من خلال قنواتها الإنجازات اللغوية الصادرة عن المجامع اللغوية والجامعات والهيئات المعتبرة ، فليس من الحكمة مطلقاً أن تظل فيوض تلك الإنجازات اللغوية في معزل عن وسائل الإعلام ، في الوقت الذي تنتشر فيه منها العامية والأنساق اللهجية واللغة المحكية المبتذلة والأخطاء والتشوهات والتصفيحات والتحريفات التي تشوِّه اللغة العربية لسان الأمة ومظهر توحدها ، إذ لا يمكن أن يجحد - ضمن المحيط البيئيّ العام والشامل- الدور الضخم والمؤثر الذي تقوم به وسائل الإعلام الحديثة والمتنوعة ، سواء منها المكتوبة أم المسموعة أم المرئية- سلباً أو إيجاباً - في تشكيل تفكير المتلقين وتعبيرهم ، وبخاصة في أجيال الشباب من الدارسين والطلاب ، لذا فمن الواجب التنبيه في هذا المقام إلى خطورة هذا الدور الإعلاميّ ، ولفت أنظار الحكومات والمؤسسات الرسمية والعلمية ، وأيضاً الإعلاميين والمذيعين ، ومنتجي المسلسلات ، ومقدمي البرامج والاستطلاعات ، إلى قيمة رسالتهم السامية في نتاجاتهم المختلفة ، ودعوتهم الدائمة إلى ضرورة الاستخدام المستمر للغة العربية ، وإشاعة نسقها الفصيح قراءةً وكتابةً ومحادثة (1) .

ومن المهم أيضاً أن تُبْذَلَ الجهود- في هذا الإطار العام- عبر مجامع اللغوية والجامعات والمنظمات المذكورة والمؤسسات التعليمة ، والإدارات الحكومية ، بل والأفراد في الشارع العام فيما ألمحنا إليه – ضمن المشكلات الشاملة للتغلب على مشكلة "الازدواج اللغوي"، للرّقيّ بالعامية إلى مصاف اللغة العربية الفصيحة ، والارتفاع بالنسق اللهجيّ السائد في البلاد العربية الذي يمثل أشتاتاً ومتفرقات إلى مستوى النسق اللغوي السليم الفصيح كي تغزو اللغة العربية الأنساق العامية واللهجة في التعبير والتفكير ، ليس في المعجم المستخدم لدى المتعلمين والمثقفين فحسب ، بل أيضاً في معاجم واستعمالات اللغة العربية عند البنائين وأهل الصناعة والمزارعين وغيرهم من المنتجين .

ومن المهم أيضاً أن تعمل المجامع اللغوية والجامعات- في هذا الصدد- على تطوير المجامع الحاضرة والمرتقبة على نحو ما تعمل المجامع والجامعات في الدول الأوروبية من إمداد معاجمها بشكل دوريّ ومستمر بالمفردات الجديدة والألفاظ المستحدثة والمصطلحات المستجدة ليشعر المثقفون والعلماء والطلاب بحيوية لغتهم العربية ومواكبتها الحياة .

4- ومن الأهمية بمكان أن تتخذ الحكومات والمؤسسات الرسمية ذات المواد المادية الضخمة - بدعم الكتاب الثقافيّ واللغويّ والأدبيّ العربيّ بمختلف مستوياته- بدءاً بقصص الأطفال وكتب ومسرح الطفل ، وانتهاء بالتآليف والتصانيف المتقدمة عن طريق بيعها بثمن رمزيّ مخفض ، تسهيلاً لتداوله بين الفئات المختلفة - تفعل ذلك كما تفعله في دعم السلع التموينية الضرورية والمواد الطبية وغيرها مما يخدم

مواطنيها،وبذلك تتوفر للبيوت والأسر مكتبات حافلة تساعد - بلا ريب - في انتشار اللغة العربية وتعليمها واستعمالها والتفكير بها .

5- ومن المهم أيضاً أن تعمل الحكومات العربية في بلدانها على فتح آفاق العمل أمام المختصين في اللغة العربية ، وإغرائهم بالحوافز المادية والمعنوية لتغيير النظرة الخاطئة للتخصص في هذه اللغة ، كأن تستحدث لاستيعاب الخريجين من أقسامها _ وظيفة أو مهمة " المصحح أو المدقق اللغويّ " في جميع المؤسسات الحكومية والشركات المختلفة ، وهو ماتيح للمدقق اللغوي فرصة متابعة ما يكتب من تقارير ومكاتبات ومحاضر جلسات وتصويبها لغوياً ، فيأتي الخطاب الصادر عن المؤسسات خطاباً عربياً سليماً صحيحاً ، ويرسخ الدعوة إلى الهوية العربية والإسلامية .

كما يجب أن تجعل الحكومات والمؤسسات في تقديم شروط قبول الموظفين المتقدمين إلى الحصول على الوظائف إتقان العربية قراءة وكتابة وتحدثاً ، فيهيئ ذلك الفرصة الواسعة لبذل الجهود المضاعفة من الطلاب في تعليم اللغة وتحصيلها .

6- ولا ننهي الحديث عن مقترحات علاج مشاكل اللغة العربية في المحور العام دون المطالبة بتفعيل دور الكتاتيب والمساجد والجوامع في البلاد العربية والإسلامية فقد كان لهذه المؤسسات الدينية المحترمة في القديم دورها الإيجابيّ الفعال في تعليم اللغة بدءاً من القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم وتلقينه ، وانتهاءً بتدريس علوم الآلة بمختلف فنونها المرتبطة دوماً بعلوم المقاصد ضمن الحِلَق الدّراسيّة الّتي كانت تنعقد منذ صلاة الفجر إلى صلاة العشاء ، ومن أسف أن هذا العمل أو الدور قد انحسر في هذه المؤسسات ببلداننا خلال السنوات الأخيرة ، فساهم انحساره في ازدياد أبعاد مشكلات اللغة العربية ، لذلك يجب تفعيل هذا الدور من جديد على مستوى التعليم والتلقين والخطابة في الجمع والأعياد والإرشاد الدائمين .

ثانياً – المحور الخاص :

لقد اشتدت الشكوى في الإطار الخاص - بالرغم من الجهود الكثيرة المبذولة في الرقيّ بحقول العلم كما تقدمت الإشارة - من الضعف اللغويّ الملحوظ فيما يقرأه ويكتبه الطلاب في التعليم المدرسيّ العام والتعليم الجامعيّ (1) ، بل أسوأ من ذلك فيما امتد أثره السلبي - كما ألمحنا - إلى متون الرسائل الجامعية العليا في الماجستير والدكتوراه (2).

وقد تضاربت الآراء في مرد هذه الظاهرة السلبية التي صار إليها الطلاب والتلاميذ جمعياً في تحصيل اللغة العربية ، فمن الدارسين والباحثين من يرجع هذا الخلل أو الضعف العام في اللغة العربية إلى طبيعة المقررات والمناهج غير المدروسة علمياً وفنياً ، ومنهم من يرده إلى التكوين الضعيف الواهن الذي تلبس به المعلمون والمدرسون ، كما ينسبه آخرون إلى الطلاب، سواء الطلاب المتخصصون في اللغة العربية أم في غيرهم من طلاب التخصصات الأخرى في كليات العلوم الإنسانية أو في كليات العلوم البحتة أو التطبيقية الذين عرفوا جميعاً-حسب رأي هذا الفريق من الباحثين- بالإهمال والتضييع والكسل في تلقي اللغة العربية ، والزهادة في

علومها ، كما يذهب آخرون من الباحثين الذين يرصدون ظواهر هذا الضعف إلى أن البيئة المدرسية ، والبيئة الخارجية ، في مستويي التعليم العام والتعليم الجامعي ، مسؤلتان عن هذا الضعف والتردي الفظيع .

وفي الحق فإن ظاهرة الضعف العام في اللغة العربية في إطارها التعليمي المدرسي والجامعيّ، شائكة ومتداخلة بحيث لا يستقل فيها جانب من تلك الجوانب عن الآخر ، بل هي قضية مشتركة ومتواشجة ، يسهم كل طرف في معضلتها بنصيب غير قليل ، كما أن كلاً منها قادر في الوقت نفسه على أن يسهم في حلها ، وإيجاد العلاج الناجع لها ، ويشارك مشاركة فعالة في التغلب على مظاهرها السلبية .

لذلك فإننا نؤثر أن نتناول كل طرف من تلك الأطراف بحديث نقترح من خلاله ما نراه من معالجات له .

أولاً : المعلمون والمدرسون

مما وقفنا عليه - عبر سنوات طويلة من التدريس الجامعيّ- أن جل الطلبة الموجهين للتخصص في مادة اللغة العربية- مُنَسَّبون- لأسباب مختلفة- تنسيباً إجبارياً أو شبه إجباريّ إلى مواصلة الدراسة في قسم اللغة العربية ، فبعد أن تستوفي الأقسام الأخرى في الكليات أنصبتها من الطلاب وفق شروطها المحددة ، توجه بقايا الطلاب المحبطة إلى قسم اللغة العربية ، وهي ممتلئة بالضيق مما سوف يجنيه عليها هذا الاختصاص في المستقبل ، لذلك رأينا أكثر هؤلاء الطلاب في حالة بائسة يائسة مما وجهوا إليه وحملوا عليه حملاً "وكيف يستقيم الظل والعود أعوج " ، أما الطلبة الذين واصلوا تعليمهم وتحصيلهم في اللغة العربية في المعاهد والكليات برغبة صادقة ، فهم وحدهم - على قلتهم - الذين استطاعوا أن يعشقوا العربية والتخصص فيها ، وأن يتأثروا بعبقريتها وينفعلوا بجمالياتها وأن يؤثروا فيما بعد في طلابهم وتلاميذهم ، لذا فإن التركيز على هذا النوع من الطلاب الجادين ، المغرمين باللغة وعطائها ، هم النخبة التي ينبغي أن تختار وتنتخب انتخاباً لتدريس اللغة العربية في مستقبل الأيام ، كما تدعو الضرورة أيضاً بعد توفير الحوافز والإمكانات- ألا يقبل في هذا التخصص إلا من توفرت فيه - مع الرغبة والحماسة - شرائط التبريز في التحصيل اللغويّ والعلميّ .

إن هذه الطائفة الجادة المنتخبة من معلميّ اللغة العربية ومدرسيها ، سوف تنهض في المستقبل بالعطاء العلميّ المنتظر منها في تعليم اللغة العربية ، إذا حظيت بالمؤازرة في الآتي :

1- إيجاد الكليات والمعاهد العالية لإعداد المعلمين والآخذة بأشكال التحديث والتطوير .
2- إعداد المناهج اللغوية والأدبية الممتازة ، والأساليب والآليات العصرية وطرق التدريس المستجدة .
3- إقامة الدورات التنشيطية الجادة بعد التخرج .

وأخيراً : فيما سوف يحظى بع المعلمون والمدرسون مستقبلاً- في أثناء قيامهم بالتدريس- من توجيه المعلمين الأوائل والموجهين الغيورين على اللغة ، فضلاً عما سوف يلقونه من الحوافز المادية والمعنوية .

الخلاصة أنّ تعليم اللغة العربية لا ينجح ، ولا يؤتي ثماره المرجوة منه ، ومن مقرراته وكتبه الدراسية - على المستوى المدرسيّ والجامعيّ- إلاّ إذا نهض به المعلمون ومدرسون أكفاء ، اتصفوا بالرغبة الصادقة في تعليم اللغة العربية وأدبها ، وبالإخلاص في الأداء والعطاء ، مع التكوين العلميّ الممتاز على نحو ما ذكرناه .

بيد أن الأمر في النهوض بمضاعفة المردود التعليميّ يقوى ويعظم بمساندة مدرسي المواد الأخرى البينية لمدرسي اللغة العربية وموادها في المدارس والكليات، لتسير العملية التعليمية في توافق وانسجام ، ومن هنا يجب أن يطالب معلمو المواد العلمية والإنسانية الأخرى بالالتزام باللغة العربية السهلة والميسرة في شرح موادهم ، وتعاطيها مع طلابهم محادثة وقراءة وكتابة ، وأن يبتعدوا عن استعمال النسق اللهجي الذي يضر اللغة ، ويفسد ألسنة الطلاب والأساتذة " . وهكذا يجب على جميع مدرسي المواد المختلفة في المدرسة أن يأخذوا أنفسهم بالتحدث إلى تلاميذهم ، والتعامل معهم ، بلغة سليمة سهلة واضحة مفهومة ، فذلك أدعى إلى تنمية المواهب ، وإلى تحقيق الاستفادة التعليمية من كل مادة ، بحسب إدراكها ، واستيعاب معلوماتها ، فوق ما نظفر به من تربية المتعلم تربية لغوية "(1).

ويقول الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة بالأردن :" وهذا ما تصنعه جميع الأمم المتقدمة ، فلا تسمح مطلقاً لمعلم المواد الأخرى أن يعلم بلغة عامية أو دارجة ، فاللغة تكتسب اكتساباً " (2) .

ولا يقتصر هذا المطلب الحيوي المهم على الأساتذة والمعلمين في التعليم المدرسي العام فحسب ، بل يشمل أيضاً- لمضاعفة المردود التعليميّ للّغة العربية- الأساتذة الجامعيين في الكليات العلمية والكليات الإنسانية وبخاصة في أقسام الرياضيات والهندسة والزراعة والطب والإحصاء وغيرها ممن يجب عليهم التعاون مع المجامع اللغوية والجامعات وأعضاء هيئة التدريس في أقسام اللغة العربية ، وأن يبذلوا جهداً كبيراً في تعريب كتب تلك العلوم، والعمل على التدريس باللغة العربية السهلة الميسرة ، لأن التجارب العملية في جامعات سوريا والأردن والسودان ، دلت ببراهين مفحمة على نجاح اللغة العربية ومرونتها وحيويتها ، وقدرتها على الوفاء بتعريب تلك العلوم وتعليمها ، وهو ما يدفع الدعاوى الزائفة التي يتعذر بها المتشبثون باللغات الأعجمية في تدريس العلوم العلمية والعلوم الإنسانية المختلفة .

ثانياً : المقررات الدراسية

يلحظ الكثيرون من التربويين ، ورجال التعليم - كما سبقت الإشارة - ما تلبست به مقررات اللغة العربية في الكثير من البلاد العربية والإسلامية من ضعف واختلال ، ومن تسرع وعشوائية في وضع مناهجها التي لم يلتزم فيها التدرج المنطقي في ترتيبها وتناسق موادها ، سواء في التعليم المدرسي أم في التعليم الجامعي ، ومرد هذا الاختلال والاضطراب الملحوظ إلى أن الكثير من تلك المناهج والمقررات لم

يخضع في وضعه والتأليف - في الغالب - إلى الآراء العلمية والتربوية المتأنية من العلماء والخبراء ، التي تراعي في نظرتها ترتيب المواد والمناهج،ومستويات الطلاب العقلية والنفسية، كما أن تلك المناهج والمقررات لم تبرأ في بعض الأحيان والبلدان من تدخل السياسات في توجيه المقررات ، وفرض أصباغها على سياقها كماً كيفاً ، وهو ما جعلها تزاحم فروع اللغة العربية وأهدافها .

وقبل أن نعرض لطبائع المقررات الدراسية في النحو والنصوص الأدبية والقراءة والبلاغة والتدريبات اللغوية والإنشاء ، واقتراح بعض الآراء في كتبها المؤلفة ، وفي طرق تدريسها نمهد لذلك بالمقترحات والممهدات الآتية :

أ- المقترح الأساس الذي يساعد على النهوض بهذه المقررات ومناهج اللغة العربية وآدابها في التعليم المدرسي والجامعي ، ويسير بها نحو وجهتها العلمية الناجعة ، أن تنطلق هذه المقررات أساساً من مصدر هوية ثابت ومتفق عليه ، ويكون هذا المصدر دائماً محل إجماع وقناعة ، أعني المصدر الديني باعتباره يمثل مصدراً مرجعياً للهوية والكينونة ، تربى الأجيال على هداه ، وتوجه بتعليمة وسناه ، مع ضرورة تفتح هذه المناهج على الآفاق الإنسانية ، والعمل على التجاوب مع الثقافات العالمية الحسنة التي تفيد وتستفيد.

وبهذا المنظور وحده تكون مقررات اللغة العربية في البلاد العربية والإسلامية عامل أصالة وتوحيد، يحفظ الأمة من الاستلاب الفكري ومن التوجيهات الرسمية الآتية المتغيرة .

فما من ريب في أن مناهج اللغة العربية ومقرراتها الدراسية في التعليم المدرسي العام وفي التعليم الجامعيّ ، قد أصابها في العصر الحديث شيء غير قليل من التوجيه والتشويه بل المسخ المزاحم الضار من حيث المعاني والمباني .

ب- ضرورة أن ننظر في وضع هذه المقررات لتعليم اللغة العربية في المستويين المذكورين نظرة علمية جديدة تنطلق من أن أصول هذه اللغة وتعليمها ونشرها لا يمكن أن تتحقّق إلا بمراعاة أركان تعليمها متكاملة متماسكة ، بحيث لا يستقل أي ركن منها عن غيره ، وهذه الأركان الأساسية في تعليم هذه اللغة هي المعروفة بالمهارات الأربع المتمثلة في : الاستماع والمحادثة والقراءة والكتابة .

إنّ تعليم اللغة- عبر المناهج والمقررات-لا يتم إلا بمراعاة هذه المهارات العلمية بل بتطبيقها ، والتي تجاهلناها في تعليمنا وتدريسنا فظهرت رؤوس تلك المشكلات .

وما من ريب في أن اتبـاع هذه الطريقة العلمية الفاعلة ، تجعل من طلاب اللغة العربية -إذا أخذنا بها - عنصراً إيجابيّاً ، كما تسهل تعليم هذه اللغة وتطبيقاتها ونشرها .

ج - ومما يساعد على نجاح تعليم اللغة العربية ونشرها ، أن نغرس في نفوس الطلاب من الصغر في التعليم المدرسي الأساسي- وهذا ما تنبه إليه بعض التربويين القدامى - عادة حب القراءة والاطلاع - عن طريق قصص الأطفال المختارة وكتبهم المناسبة لأسنانهم في المرحلة الابتدائية ، فإن الطالب الطفل إذا تشرب هذه العادة منذ صغره تقوى خياله وعظمت ملكته وحصيلته اللغوية ، إلى أن تصير له عادة متأصلة في كبره في تعلم اللغة العربية .

د - كما يميل الباحث إلى تأييد الطريقة التوفيقية أو التوليفية في تعليم اللغة العربية في المراحل الأولى من التعليم المدرسي : مرحلة الكتاب ورياض الأطفال والمرحلة الابتدائية بدل الطريقة التركيبية التي تنطلق من تعليم الحروف إلى معرفة وتعلم الكلمات والجمل ، وبدل الطريقة الأخرى التحليلية التي تبدأ من الجملة أو الكلمة إلى معرفة مقاطعها ثم حروفها أخيراً ، فإن الجمع بين هاتين الطريقتين بالتوفيق والتوليف- في نظري- أثبت جدواه وصلاحيته في تعليم اللغة العربية في المراحل الأولية في الكتاتيب ورياض الأطفال ، والمرحلة الابتدائية أيضاً ، ولا بأس من اعتماد الطريقة التحليلية بعد ذلك في مقررات المراحل المتقدمة .

هـ - وجوب تفعيل مواد اللغة العربية المختلفة ، بالطرائق العملية في طرق تدريسها المنصوص عليها والتي يتم إغفالها في تعليم اللغة العربية على نحو ما نذكره فيما بعد في مادتي القراءة والإملاء .

ملاحظات على مقررات اللغة العربية:

مـــادة النحـــو :

وهي من الموادّ الرئيسة في العربية ، ولذلك يحسن بالذين يؤلفون الكتب في التعليم الأساسيّ : الابتدائيّ والإعداديّ (6 – 15) والثانويّ (15 – 18) أن يولوها أهمية خاصة ، وان يعتمدوا في عرض مسائلها وموضوعاتها التسهيل ، وأن يعنوا بالأخذ باللغة الوظيفية من حيث اختيار التراكيب العملية المستعملة، والتعابير اللغوية السهلة الميسرة ، والمستخدمة في الحياة اليومية حسب المراحل المختلفة في التعليم المدرسيّ والتعليم الجامعيّ، ويقتضي ذلك :

1. أن يخلص المؤلفون كتب النحو من الموضوعات النظرية التجريدية التي لا تمس الحاجة إليها ،2. وأن يبتعدوا عن الآراء الجدلية العقلية ،3. والتعليلات الواهية التي لا تنتظمها قاعدة أو قانون مطرد (1) ،4. فإن حصر الموضوعات والقواعد النحوية الشائعة في الاستخدام اللّغويّ الذي ينبغي أن يُؤخذ من الاستعمالات اللغوية للحياة اليومية ،5. يعيننا كثيراً - دون شك - على وضع الضوابط النحوية الضرورية المستعملة ،6. فلا يتخرج الطالب في التعليم العام وبخاصة في نهايته من المرحلة الابتدائية ،7. إلا وقد امتلك النحو الأساس أو النحو العمليّ الذي يكون معواناً له في استخدامه اللغوي الصحيح قراءة وكتابة ومحادثة واستماعاً ،8. ويمكننا الاستفادة في ذلك من أعمال وتآليف وجهود العلماء الذين سعوا في القديم والحديث - إلى تيسير النحو ،9. أما ما عدا ذلك من الآراء النحوية الجدلية والعقلية أو المنطقية ،10. أو المسائل الشاذة ،11. فتترك إلى المراحل الجامعية المتقدمة ،12. وحبذا لو تجعل ضمن مقررات المختصين ومناهجهم في أقسام اللغة العربية .

ويمكن في جميع الأحوال الاستعانة في تدريس النحو بالطريقة الاستنباطية والطريقة الاستقرائية كما دل على ذلك الدكتور سمير شريف استيتة (2) وغيره .

كذلك أرى جدوى المعمول به حالياً في البلاد العربية ضمن مقررات النحو وكتبه في المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعية والمتمثّل في استخلاص القاعدة من مجموعة أمثلة أو نصوص أدبية بليغة يتم شرحها ، فالتراكيب اللغوية

والتعابير الأدبية أساس بل عماد لفهم القاعدة في الطريقة التعليمية الحديثة ، على أن يسلك واضعو مقررات النحو سبيل الإكثار من الأمثلة الأدبية- التي صارت تنحسر من كتب النحو-وذلك من خلال عرض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة باعتبارهما يمثلان ذروة البلاغة والأدب، ثم الأمثال والأشعار والحكم الدالة والمتصلة بالقاعدة النحوية المدروسة لتغذي هذه الأمثلة المتنوعة والمتألقة وجدان الطالب وتسهم بطريقة مباشرة في تكوين ذائقته اللغوية والأدبية ، بحيث لا تكون مادة النحو كما نلحظ في المقررات الحالية مجرد مادّة جافة وتلقينية ، ومفصولة عن فروع اللغة العربية الأخرى .

أصول الكتابة العربية :

وما قيل في مادة " علم النحو " يقال أيضاً في تعليم أصول الكتابة العربية التي ينبغي أن يتكامل التصور فيها ، بحيث يؤهل الطلاب منذ التعليم المدرسي الأساسي ليكتبوا كتابة عربية سليمة وفق الأصول الدقيقة باتباع أسس تدريس قواعد الإملاء المختلفة والمعطلة حالياً أعني : الإملاء المنقول والإملاء المنظور والإملاء الاستماعي والإملاء الاختياريّ والإملاء الاستباري الذي يقصد به"سبر فهم الطلاب للقاعدة الإملائية وطريقة كتابة الكلمات " .

ونأمل أن يتسع هذا التصور أيضاً ليشمل إلى جانب القواعد الإملائية رصد الأخطاء الشائعة الإملائية والنحوية ليس في كتابات الطلاب فحسب بل في المكاتبات الرسمية أيضاً والعمل على تجاوزها ، ووضع الصحيح مقابلها .

علم العروض والقافية :

كما ينبغي أن يشرع في تعليم مادة " علم العروض والقافية " منذ المرحلة الثانوية ، والعمل على الإفادة من هذا العلم ومصطلحاته في سنوات المرحلة الجامعية اللاحقة ، وأيضاً في مادة التدريبات أو التطبيقات اللغوية " ، إذ يلاحظ أن طلابنا في المقررات الحالية يتخرجون في الجامعة وهم يجهلون هذا العلم ومصطلحاته وتطبيقاته العملية .

الدراسات الأدبية :

أما في مجال تحصيل اللغة ومفرداتها وتراكيبها وفهم عبقريتها وتعابيرها ، وتشرب روحها المتفردة ، فالذي أقترحه- من خلال تجربتي في تدريس الطلاب العرب ، وتدريس غيرهم من الطلاب الأعاجم ، أن يستكثر مؤلفو كتب المناهج ومقررات اللغة العربية من الإتحاف بالنصوص الأدبية المختارة والمتميزة من المنظوم والمنثور .

على أن يشترك في هذا الاختيار والإتحاف صفوة من الأدباء والمربين والمؤلفين ذوي الذائقة الأدبية ، لا أن يترك الاختيار والانتخاب إلى العشوائية أو المجاملات الضارة التي تقدم الضالع من المبدعين ، وتتجاهل الضليع منهم .

كذلك أرى ضرورة أن يعتمد مؤلفو كتب مقررات اللغة العربية ومناهجها تحليل تلك النصوص تحليلاً أدبياً ، يكشف عن محاسنها ومخابئها من مدلولات الألفاظ والمحسنات البلاغية المتمثلة في إجلاء الصور الشعرية من خلال تباين الخيال في مستوياته المختلفة : الابتكاري والتأليفي التفسيري وتعريف الطلاب عمق المضامين بما تتضمنه من أفكار كلية وأفكار جزئية وأيضاً بما انتظمته النصوص المختارة من عاطفة وأحاسيس .

كما أرى أيضاً ضرورة حمل الطلاب في مختلف المستويات المدرسية والجامعية على حفظ النصوص الغنية بمضامينها وأشكالها ، إنقاذاً لهم من الفراغ الذي نلحظه فيهم ، والعائق لهم في مقامات الكتابة والخطابة والحديث .

فقد كانت الأجيال السابقة من متعلمي اللغة العربية ، وإلى فترة قريبة ، أقدر على التفكير والتعبير ، والذي أراه في جدوى تدريس النصوص الأدبية ، مع العناية بحفظ القصائد ، بل التحريض على حفظ النتف والمقطعات الجيدة، أن نراعي في عرضها جميعاً البداية بالنصوص الأدبية السهلة والقريبة ، وبخاصة الآثار الحديثة والمعاصرة تُجاري وتتناول القضايا والأفكار الحاضرة ، فمن الخطأ في نظري أن تُختار في بداية المرحلة الثانويّة أو المرحلة الجامعيّة النصوص التي قالها شعراء ما قبل الإسلام (الجاهلية) أو صدر الإسلام ، لاختلاف قضايا تلك العصور، وصعوبة تفكيرها وتعبيرها ، فالأدب الحديث شعره ونثره يجب أن يقدم ، ثم ننتقل إلى الأسهل إلى أن ننتهي- بعد تحقق المستوى اللغوي وتطوره إلى الأدب الجاهلي ، أو أدب ما قبل الإسلام سواء في التعليم المدرسي أم التعليم الجامعي . ومن المفيد في تحقيق جدوى تدريس الأدب أيضاً ، أن نحمل طلابنا في المرحلة الجامعيّة على دراسة النصوص الأدبية من خلال الشروح الأدبية واللغوية التي كتبها الشراح التراثيون ، ليتمرس الطلاب بأساليبهم العميقة على نحو ما نقرأه في شرح مقصورة ابن دريد ،ومقصورة حازم القرطاجاني ، وشروح البردة ، وشروح المعلقات ، وشروح لاميتي " العرب "و" العجم" ، باللغة الدقيقة والرقيقة لاتساع محفوظهم، وتغريز ما تعيه حوافظهم من روائع اللغة وأدبها العبقري المسعف .ورحم الله ولي الله عبد الرحمن بن خلدون (732 /808 هـ) الّذي كانت له نظرته الموضوعية والعلمية حيث قال:"ووجه التعليم لمن يبتغي تلك الملكة ، ويروم تحصيلها ، أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث ، وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم ، وكلمات المولدين أيضاً في سائر فنونهم ، حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظور والمنثور منزلة من عاش بينهم ، ولقن العبارة منهم" (1) . وخلاصة القول أنّه ينبغي أن نراعي في تدرس النصوص الأدبية الأهداف العلمية والتربوية المتفق عليها (2)،ومما يتصل بهذا الغرض أن نلفت الأنظار – إلى ضرورة أن يدرس " الأدب المقارن " – وهو الأدب الذي تتم فيه المقارنة بين آداب اللّغات المختلفة واللغة العربية من خلال النصوص الأدبية التي تجسد مظهر التّأثّر والتأثير بين اللغات المختلفة ، وأن نتجنب الطريقة العقيمة الجاري بها العمل في أقسام اللغة العربية ، والمقتصرة في الغالب على تدريس

المداخل التاريخية والتنظيرية التي لا تعود على الطّلاّب بطائل في المقارنة الأدبية ، بل كثيراً ما رأيناها تشغلهم بسرد الأسماء والتواريخ ، وتزاحم تحصيلهم اللغوي .

كما يجب التنبيه أيضاً في هذا المقام إلى ضرب مغفول عنه في سياق مواد اللغة العربية وتعليمها في أقسام اللغة العربية ، وهو " الأدب الموازن " الذي تتم من خلاله الموازنة بين أدباء اللغة العربية وشعرائها وناثريها ضمن الأدب العربي في القديم والحديث ، فهذا الأدب الموازن الذي يختلف في موضوعه عن " الأدب المقارن " والذي لم يحظ بالعناية به في مقرراتنا على أهميته- يمثل بلا ريب أشكال التأثر والتأثير بين أدبائنا القدامى ، ويجلو أبعاد المشابه في إبداعاتهم ، ويفتح أبواباً مشروعة لطلاب اللغة العربية تمكنهم من تفعيل ملكة النقد والموازنة بين الأدباء .

فالأدب الموازن- حسب دراستي وتدريسي-لم تؤلف فيه كتب ضمن مقررات الجامعة، كما أن الجامعات العربية جملة لم تشر إلى أهمية هذا الأدب، ولم تظهر في السابق عناية به.

القراءة والمطالعة :

مادة القراءة أو المطالعة من المواد المهمة في إنجاح تعليم اللغة العربية ونشرها، وبالرغم من تقرير هذه المهمة والفاعلية للقراءة في سياق اللغة ، فقد لقيت هذه المادة الكثير من الإهمال والتهميش من حيث الكم والكيف ، وهو ما انعكس أثره على هذه اللغة ، وأسهم في تضخم مشكلاتها، لذلك يجب- ونحن نتحدث عن اقتراح بعض الحلول لتلك المشكلات، أن تتأكد العناية بكتب المطالعة والقراءة في المدارس مثلما عنيت بها المناهج والمقررات القديمة لما لها من التأثير في الرقي بالتفكير والتعبير لدى الطلاب والدارسين في التعليم العام، حيث تمدهم من خلال كتبها المتنوعة بالمعلومات والفوائد والإفادات حول الموضوعات التراثية والعصرية ، سواء المتصلة منها بالمسائل اللغوية أم التاريخية أم الجغرافية أو العلمية وغيرها ، والذي نذهب إليه في سبيل تحقيق جدوى القراءة أو المطالعة ، ولكي يكون لها مفعولها وتأثيرها في إنجاح تعليم اللغة العربية ، أن نتبع في تطبيق كتبها ومناهجها طريقتين ايجابيتين :

الأولى- أن نعتمد في تدريس المادة وكتبها الخطة المنهجية القديمة من تقرير ثلاثة أنواع من الكتب للقراءة في المراحل الإعدادية والثانوية :

كتاب القراءة المتنوعة ، وهو الذي يتوفر على موضوعات مختلفة علمية واجتماعية ودينية واجتماعية وصحية وتوجيهية إرشادية . الخ .

كتاب مقتطفات من كتب الأدب والتاريخ ، الذي يستمد موضوعاته غالباً من كتب التراث ، لتكون معواناً للطلاب على فهم أساليب القدامى ، وطرق تفكيرهم ، وتمهيداً يسهل عليهم التعامل مع التراث .

الكتب ذات الموضوع الواحد ، وهو ما يكتبه المبدعون المتميزون في القصة أو الرواية نحو كتاب" أبو الفوارس عنترة بن شداد "لمحمد فريد أبو حديد و" هاتف من الأندلس لعلي الجارم ،و" الأيام " للدكتور طه حسين،و" العبقريات" للأستاذ الكبير

عباس محمود العقاد وغيرها مما كتب أدباء العربية في المشرق والمغرب ذات الموضوع الواحد .

فقد تخرجت الأجيال الماضية بهذه الأنواع الثلاثة من كتب القراءة ، وكان لها الأثر الفعال في مضاعفة المردود التعليمي ، وفي تكوين المستوى اللغوي والثّقافيّ لديها .

الأخرى : وجوب تفعيل آليات القراءة وأساليبها المنهجية وطرق تدريسها العلمية، فلقد أغفل المعلمون والمدرسون القراءة الصامتة والقراءة الجهرية ، وأغفلوا قراءة الاستماع وقراءة الاستمتاع(1) ، بدءاً من المرحلة الابتدائية التي أغفلت فيها قراءة قصص الأطفال وكتبهم المناسبة لأسنانهم ، والمحققة لاستمتاعهم .

ونحب قبل الانتقال من الحديث عن القراءة وطـرق تفعيلها من حيث الكم والكيف - نشير إلى مظهر من مظاهر القصور اللغوي الذي نلحظه بوضوح في مقررات كتب القراءة والمطالعة المقررة قديماً وحديثاً - وهو المتجسد في تهرب واضعي المناهج ، ومؤلفي الكتب ، من إثراء موضوعات كتب القراءة ، وبخاصة القراءة المتنوعة التي يجب أن تستخدم في أنساق موضوعاتها المختلفة البدائل اللغوية التي يحتاجها الطلاب في حياتهم ، والمصطلحات العلمية والفنية الضرورية ، وإشاعة الألفاظ الحضارية المعربة المعتمدة في المجامع اللغوية ، لتكتب لها السيرورة في استعمالاتهم الشفهية والتحريرية اليومية ، ولكي لا يستقر في أذهان الطلاب أن اللغة العربية عاجزة عن مجاراة الحياة والمستحدثات الحضارية.

الـبـلاغـــة :

كذلك ينبغي أن تكون النظرة إلى البلاغة وعلومها من بيان ومعان وبديع على أنها مادة فنون جمالية ذوقية تظهر تجلياتها البديعة في كل أثر لغوي بليغ من منظوم اللغة ومنثورها ، لا على أنها مادة تقعيدية جافة منعزلة ، لذا ينبغي أن تختار موضوعاتها ومباحثها من سور القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، ومن خطب الخلفاء وأقوالهم الرائعة ، ومن النصوص المؤثرة من أشعار الفصحاء ، وآثار الكتاب والخطباء الأبيناء ، فذلك أعلق بالأذهان والحوافظ ، وأرسخ في عقول الطلاب من القواعد الجافة المفتعلة الملحوظة في كتب المقررات التي تجاهلت الاستعمال الدقيق ، والذائقة الأدبية .

إن الذي نريد توكيده في مادة البلاغة العربية والنصوص الأدبية وجوب أن يعود واضعو المقررات إلى الآثار الخصيبة المشرفة المؤثرة ، وأن يتجنبوا الاختيارات العشوائية الجامدة التي يمليها الهوى ، والتي أضرت كثيراً بأنساق كتب هاتين المادتين اللتين تلبستا بضعف النصوص فيها من حيث المضمون والشكل .

كما يجب على المعلمين والمدرسين وبمتابعة الموجهين أن يهتمّوا في التعليم المدرسي بمادتين عمليتين ،صارتا تلقيان الكثير من الإهمال والتهميش ، وهما مادة "الإنشاء" أو التعبير(التعبير الشفهي والتعبير الكتابي) (1) ومادة " التطبيق " (2) ، وكلتاهما مهمّة على المستوى الإجرائيّ لأنهما مجال صالح لإظهار مهارات الطلاب الأربع .

وقد رأيت- في المستوى الجامعي أيضاً أساتذة جامعيين يستهينون بمادة تطبيقية مماثلة هي مادة التدريبات أو التطبيقات اللّغويّة فلا يأخذونها مأخذ الجدّ ، وهي المادّة الإجرائية التطبيقية الصالحة - أيضاً إذا ما أخذت العناية والاهتمام للتعرف على قدرات الطلاب ومهاراتهم وتطبيقاتهم اللغوية في الاستماع والمحادثة والكتابة والقراءة.

ثالثاً : طرق تدريس اللغة العربية ووسائلها :-

ومما يتصل بالرقي بمناهج اللغة العربية ومقرراتها ، والخروج بها إلى مرحلة الفاعليّة والتأثير ، وجوب الاستفادة من طرق التدريس لمواد فروعها المختلفة وفق الأساليب التعليمية ونظريات التعلم الحديثة والفاعلة .

ذلك أن من الأسباب الرئيسة في إخفاق تعليم هذه اللغة والضعف العام الملحوظ في دراستها ، أن الكثير من معلميها ومدرسيها وبخاصة في التعليم العام المدرسيّ ، لا يطبقون نظريات التعليم المفيدة التي أخذوها في معاهد وكليات المعلمين ، ولا يستفيدون من التوجيهات التعليمية العلمية التي نصت عليها كتب طرق تدريس اللغة العربية والمتمثلة في تطبيق مراحل التدريس الخمس التي يجب أن يلتزم بها مدرس اللغة العربية وهي :

التمهيد .
العرض .
الربط .
الاستنتاج .
التطبيق (3) .

كما أنهم يهملون الوسائل التعليمية الحديثة والمعينات التقنية المصاحبة طرق تدريس اللغة العربية التي تساعد في تفعيل المقررات المطبوعة بل إننا نهمل أحياناً استعمال وسيلة الإيضاح الوحيدة المتوفرة ، السّبُّورة وهي اللوحة السوداء أو بأي لون كانت ونكتفي بمجرد الإلقاء ، لقد توافرت كثرة كاثرة من الوسائل والتقنيات الحديثة ، واستعان بها الآخرون في تعليم لغاتهم الحية ، ومن حق لغتنا علينا أن نفيد من تلك الوسائل والآليات والتقنيات العصرية في تعليمها وتعلمها.

وأنا أضرب مثلاً واحداً قريباً يمكن القياس عليه ويجب أن يستفاد منه ، وهو هذا الكم الهائل من الأشرطة المسجلة عليها سور القرآن الكريم والأحاديث النبوية في قراءة واضحة مبينة ، كما سجلت عليها المتون العلمية وعيون الشعر العربي القديمة والحديثة بقراءة تبرز مخارج الحروف ، وتراعي قواعد النحو والإعراب وأصول القراءة ، فلو عملت المؤسسات التعليمية في عالمنا العربي والإسلامي على استخدام هذه المعينات المصاحبة وغيرها ، ويسرت أمر الحصول عليها والاستفادة من معامل اللغة وتعميمها في العملية التعليمية ، لكان ذلك خير عون في تعليم اللغة العربية بوسائل عصرية تعين على الفهم والتطبيق العملي للغة ، ويقاس على الأشرطة المسجلة- باعتبارها- وسيلة من وسائل الإيضاح الوسائل الأخرى المجدية في تعليم اللغة .

وخلاصة القول في المقررات الدراسية ، وفيما يجب الاستعانة به من طرق التدريس ووسائل ، وهما أصلان متماسكان لا يجب التفكيك بينهما في تعليم اللغة العربية لمضاعفة المردود التعليمي منهما ، أننا ينبغي أن نهتم فيهما بجانبين مهمين لازمين هما :

ضرورة تزويد المقررات والكتب الدراسية بالمعارف التراثية ، وأيضاً بالمعلومات الحديثة العصرية ، باعتبار أن اللغة العربية لغة خصبة في القديم والحديث ، وكائن حي يجمع بين الأصالة والمعاصرة .

إن كثيراً من تراثنا اللغوي والبياني والأدبي لا يزال إلى اليوم مخبوءاً في كتب التراث المشرقية والمغربية ، ليس في مجرد الكتب الأدبية واللّغويّة المعلومة أو المجهولة فحسب ، بل في كتب المؤرخين والفقهاء والعلماء والفلاسفة التي تمثل الأدب والبيان واللغة والمعارف في أنصع صورها ، والتي لم تمتد إليها أيدي واضعي مناهج اللغة العربية ، كما أن مئات من تآليف الكتاب والأدباء المغمورين في المشرق العربي والإسلامي ومغربه ، التي تحوي آثارهم الأدبية الحافلة بروائع المضامين ، وبدائع الأشكال ، في حاجة ماسة إلى من يظهرها إلى طلابنا وتلاميذنا ليعرفوا مع مشاهير أدباء العصر المشهورين شوامخ اللغويين والأدباء . إن تراثنا القديم والحديث الحافل لا يزال يئن من ويلات محاصرة الاختيار التي اكتنفت في انتخابها بأعلام مشهورين قلة ، ولم توسع دائرة الاختيار بكشف الأعلام الكُثر المجهولين .

وجوب الاهتمام الدائم من خلال المناهج وطرق التدريس المطورة بالتقنيات الحديثة والمستجدة ، والعناية بتكوين القدرات ، وتطوير المهارات في القراءة والكتابة والسماع والمحادثة ، وهي الأركان الرئيسة التي تسهم مجتمعة- كما أسلفنا- في مضاعفة المردود التعليمي .

رابعاً : الطلاب والبيئة الطلابية :

الحلقة الثالثة في العملية التعليمية بعد المعلمين والمدرسين الباحثين والمقررات الدراسية هي حلقة الطلاب المتلقين في التعليم المدرسي العام والتعليم الجامعي الذين يعدون - باعتبارهم مستهدفين بالعملية التعليمية والتربوية - ركناً مهماً تجب العناية به في عملية العناية باللغة العربية والرقي بها ، ويمكننا أن نتحدث عن الطلاب الدارسين للغة العربية من خلال هذا التقسيم الشكلي :

1- طلاب اللغة العربية من العرب الأصلاء ذوي السليقة العربية ، وهؤلاء إما متخصصون في اللغة العربية نفسها ، وإما متخصصون في اختصاصات علمية أخرى مثل العلوم البحتة والطب والأحياء والهندسة والزراعة والاقتصاد وغير ذلك أو العلوم الإنسانية مثل الفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ وعلم النفس وغير ذلك .

2- طلاب اللغة العربية غير الناطقين باللغة العربية الذين ينتمون إلى أُصول ولغات أخرى مثل الهوسا والأردية والسواحيلية والتركية ، أو اللغات الأوروبية مثل الانجليزية والفرنسية والألمانية والايطالية .

إن الذي نريد أن ننّبه إليه في هذا المقام ، ضرورة التفريق بين هذه النماذج والمستويات من الطلاب ، فليس من المعقول أن نسوّي في تدريس اللغة العربية ، من خلال مقرراتها الدراسية ومناهجها التعليمية بين الطالب العربي المتخصص فيها ، وبين الطالب العربي غير المتخصص فيها ، وليس من المعقول أيضاً أن نساوي في تعليم اللغة بين المناهج المعدّة للطلاب العرب ذوي السليقة العربية بعامة ، وإن اختلفت تخصّصاتهم واهتماماتهم ، والطلاب الأعاجم الناطقين بغير العربية ، الذين يجدون صعوبات خاصة قد لا يعاني منها أبناء العرب الأصلاء . ومع ضرورة هذا التفريق بين هؤلاء الفرقاء من الطلاب ، فلابدَّ أنْ نحسسهم جميعاً بأهمية اللغة وضرورتها ، وأن نعمل على تيسير تحصيلها ليلمّ الطلاب جميعاً بها كتابة وقراءة ومحادثة وسماعاً ، كما يجب أن نحسسهم أيضاً حبها وأخذهم كتبها ومقرّراتها بقوة ، ونرغبهم في أن يبذلوا الوسع في التفتح على تراثها .

وقد أكدنا من قبل أن عنصر الرغبة في تعلم اللغة العربية وتعليمها أساس رئيس في إجادتها وإتقانها ، وبدون هذه الرغبة لا يتحقق لهؤلاء الطلاب جميعاً أيُّ انتفاع أو تأثر وتأثير .

كذلك أشار بعض المراقبين من التربويين ، وخبراء اللغة العربية ومناهجها إلى أنَّ البيئة التي يعيش الطالب في أحضانها في الحاضر عامل مهم من عوامل الضعف العام الملحوظ في تحصيل اللغة العربية ، ويقصد بالبيئة هنا المحيط الخاص المتمثل في المحيط الأسري المحدود ، والمحيط العام ويراد به المحيط المدرسي والمحيط الاجتماعي الأوسع محيط القرية أو المدينة بجميع مشمولاته من مساجد ومؤسسات ودوائر رسمية ، وما يتعامل معه الطلاب في حياتهم من وسائل التوجيه والإعلام والفضائيات .

فهذا المحيط الشمولي أو البيئة العامة التي يتعامل معها الطلاب ، ويحتكون احتكاكاً يومياً بمعطياتها ، يمكن أن يرقّي برقيّه تعليم اللغة العربية ، وأن يضاعف مردوده الإيجابي مستوى التحصيل ، كما أنه قد يكون معولاً من معاول هدم اللغة وتعويقها في التعبير والتفكير إذا كان سلبياً واهنا .

لذلك نرى أن الرقي والتسامي بالبيئة الخاصة الأسرية أولا والبيئة العامة أو المحيط الشامل الذي يعيش فيه طلاب اللغة العربية على مختلف مستوياتهم ، أصلا أو طارئيين في مشروع الرقي بتعليمها - على الرغم من صعوبته - شرط أساس .

على أن هذه الصعوبة قد تتضاءل وتضعف ببذل الجهود من جميع أفراد المجتمع وهيئاته، فإنّ اللغة العربية - كما لا يخفى - مثل سائر اللغات ، تحتاج إلى شي من التعود والاستماع، والاستعمال والإرادة في آن واحد .

يقول الدكتور عبد العالي ، رئيس قسم اللغة العربية بالكلية الحميدية بالهند : (ومن المعروف أن اللغة ملكة سماعية ، وبقدر ما يسمع الطالب كلاما عربيا صحيحا، يتعود على الكلام العربي الصحيح ، فبهذه الطريقة لا يجد الطلبة فرص الاستماع إلى العربية فحسب ، بل يرغبون في استخدامها لغة للتعبير عما في نفوسهم) ، ففي نطاق المحيط الخاص (المحيط الأسري) يقتضينا منهج الرقي باللغة العربية أن يعتاد أفراد هذا المحيط وبخاصة في الأسرة المتعلمة استعمال اللغة

العربية السهلة الميسرة عوض استعمال النسق اللهجي ، ليكون التعبير والتفكير عربيا عمليا منتجا ، كما يقتضي هذا المنهج البديل أن تتجنّب الأسر المحادثة بين أفرادها باللغة الأجنبية إلا في حدود ضيقة وضرورية إذ ليس من الصواب أن يترك الأصل ويستعمل الدخيل .

كذلك من شرائط إعلاء اللغة العربية ، ومضاعفة مردودها وعطائها في المحيط العام والشامل ، أن يعمل رجال التربية والتعليم على الانتصار لها عن طريق إنجاح البيئة المدرسية ، ولا يتحقق ذلك إلا بأن يخرج بهذه البيئة أو المحيط من الرتابة واللامبالاة الملحوظين في اليوم الدراسي ، وذلك بأنّ يبذل مدرسو اللغة العربية جهودا مضاعفة في إثراء الأنشطة التعليمية والتربوية التي تجتذب اهتمام الطلاب في المراحل المختلفة ، وذلك عن طريق توسيع دائرة محفوظات الطلاب بالشعر ، وعقد جلسات المطارحات الشعرية ، وتشجيع الطلاب على تكوين مكتبات الفصول وتشجيعهم على قراءة القصص والروايات العربية ، والعمل المستمر على عقد المسابقات الدورية في الأجناس الأدبية المختلفة مثل المقالة وكتابة المسرحيات والقصة ونظم القصائد والمساهمة في الكتابة في الجرائد الحائطية والحديث في الإذاعة المدرسية ، وبخاصة في المراحل الثانوية .

زيادة على المطلوب منهم ، بل ومن غيرهم من أساتذة المواد العلمية والإنسانية الأخرى من وجوب الالتزام في الشرح والإيضاح بالحديث باللغة العربية الفصيحة والصحيحة السهلة ؛ واستعمال تكنولوجيا بل تقنية التعليم الحديثة أي المعينات السمعية والبصرية التي تقرب الأفكار وتساعد على تنمية المهارات لدى الطلاب كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

تلك هي بعض مشكلات تعليم اللغة العربية في الإطار البيئي والمجتمعي العام ، وفي الإطار التعليمي الخاص (المدرسي والجامعي) ، وقد انتهت نتائج البحث إلى أن حلول تلك المشكلات لا يتحقق إلا بإعادة الاعتبار للغة العربية ، وزيادة الاهتمام بها ونشرها من الراعي والرعية ، أو بمعني آخر بمزيد تضافر الجهود المعنوية والمادية من الدوائر الرسمية والأهلية للعناية بهذه اللغة التراثية الخصبة الحية ، باعتبارها وعاء أميناً لفكرنا الديني ، ومصدر هوية وكينونة للأمة ، وبخاصة في هذا العصر المعدود مجلى لحوار الحضارات الإنسانية .

وقد اقترحنا في هذا البحث- بعد بيان أشكال تلك المشكلات وأبعادها في الإطارين المذكورين- جملة من الحلول العلمية- في الإطار الخاص موضوع البحث- لمضاعفة المردود التعليمي من خلال تفعيل دور المعلم والمدرس باعتباره الركن الرئيس في العملية التعليمية لإنجاح مشروع الرقي باللغة العربية ، وأيضاً تفعيل المقررات والمناهج وإحياء آلياتها المعطلة، ونبهنا إلى أهمية طرائق التدريس الحديثة ووسائلها المغفول عنها ، وتنشيط البيئة الطلابية الخاصة والعامة ولم نغفل دور الطلاب وأهمية دورهم في تحصيل اللغة العربية عن طريق تحسيسهم بأهميتها وإذكاء الشعور لديهم بدورها في ترسيخ الهوية والكيان .

وأختم بحثي بكلمة قالها الدكتور مازن المبارك دالة على جميع ما توخيناه من تجسيد مشكلات اللغة العربية ، واقتراح الحلول لها ، وهي (أنّ الأمة التي تهمل لغتها

أمّة تحكم على نفسها بالتبعية الثقافية ، ونحن نربأ بالقيادات الجامعية في الوطن العربي أن تخطط للسير نحو هذا المنزلق الخطير).

مراجع البحث :

الاتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية في المرحلتين الإعدادية والثانوية .حسني عبد الهادي عمر .

الآداب السامية ، محمد عطية الأبراشي ، مصر ، دار الحداثة ، ط 2 ، 1984 .

بحوث ومقالات في اللغة ،د. رمضان عبد التواب ،مصر، مكتبة الخانجي ، 1995 .

تاريخ الفكر الأندلسي ، بالنثيا ، ترجمة . د. حسين مؤنس ، مصر .

التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية ،مجموعة من الباحثين ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1982 .

تعليم اللغة العربية والتربية الدينية .

دراسات في اللغة العربية الفصحى وطرائق تعليمها .

روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام .محمد بن علي بن الأزرق ، تحقيق سعيدة العلمي ، ليبيا ، كلية الدعوة الإسلامية .

طرق تدريس اللغة العربية ، جودت الركابي ، لبنان ، دار الفكر المعاصر ، مصر مكتبة غريب .

علم اللغة التعليمي ، سمير شريف استيتة ، الأردن ، دار الأمل للنشر والتوزيع .

علم اللغة العربية ، د. محمود حجازي ، مصر ، دار نهضة الشرق ، 1997 .

فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك ، بيروت ، دار الفكر ، ط 4 ، 1970 .

في قضايا اللغة التربوية ، د. محمود السيد ، الكويت ، وكالة المطبوعات .

قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث ، د. نهاد الموسى ، عمان ، دار الفكر ، 1987 .

اللغة العربية إلى أين ؟ ، مجموعة من الخبراء والباحثين ، المملكة المغربية ، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة 1426 – 2005 .

اللغة العربية رؤية علمية وبعد جديد، محمد علي الملا، مصر، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة .

اللغة العربية على مدارج القرن الواحد والعشرين ، د. عبد الكريم خليفة ، لبنان ، دار الغرب الإسلامي ، 2003 .

اللغة العربي في التعليم العالي والبحث العلمي ، د. مازن المبارك ، مؤسسة الرسالة ، دار النفائس ، 1401 – 1981 .

اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم ، د. عبد العال سالم مكرم ، مصر ، عالم الكتب 1415 – 1995 .

لغتنا والحياة ، د. عائشة عبد الرحمن ، مصر ، دار المعارف .

المقدمة ، عبد الرحمن بن خلدون ، مصر

الدوريات :

طرق تعليم اللغة العربية على مستوى البكالوريوس ، د. علي العلي مجلة اللسان العربي ، ع 25 س 1985 .

النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة ، أ . عمران شعيب ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ع 18 س 2001 .

وسائل سلامة العربية ، د. زهير غازي زاهد ، مجلة كلية الدعوة الاسلامية ع 18 س 2001 .

من الشبكة المعلومات الدولية :

غربة اللغة العربية وسط أبنائها ، د. وداد نوفل

اللغة التخنة ، أحمد زين .

اللغة العربية تعلما وتعليما ، د. صالح بن عبد العزيز الناصر .

المعلم يقيم نفسه ، سلوى أحمد ، شبكة المعلومات الدولية .

نحن ولغتنا (مشكلة العربية) د. محمود إسماعيل صيني .